www.assafir.com

فنون وعلوم

تاريخ المقال: 2015-09-14 01:40 AM

معرض تغريد دارغوث.. سلطة الآلات

محمد شرف

إذا ما اعتبرنا أن بورتريهات الفيوم المصرية كانت من أوائل البورتريهات في التاريخ الفني، لكون ما سبقها لم يستوف شروط هذا النوع الفني، فإن أعمال غيوّم دوكهام، في القرن الثالث عشر، ومن ثم أعمال جان فان إيك، في القرن الرابع عشر، كانت فاتحة تطور النوع المذكور، مستقلاً حينها عن الاتجاه الديني أو الميثولوجي، الذي كان سائداً خلال الفترات السابقة.

على أن البورتريه لا يقع في صلب موضوعنا، إلا من خلال اعتباره، كعمل فني مكتمل، اتخذ من الوجه موتيفاً أوحداً يملأ مساحة اللوحة، بنسب تتفاوت بحسب مشيئة الفنان، وبحسب ما يرمي إليه من خلال عمله. أعمال تغريد دارغوث، المعلّقة على جدران غاليري أجيال للفنون التشكيلية، تلتقي مع فن البورتريه في تخصيص صفحة اللوحة من أجل معالجة موتيف واحد، لكنها مختلفة، في طبيعة الحال، موضوعاً ومضموناً، وقد اجتمعت في معرض تحت مسمّى: آلات الرؤية، هل عليك أن تراني الآن أفضل؟ الترجمة الحرفية لعنوان المعرض، المذكور بالإنكليزية، قد تشير، للوهلة الأولى، إلى سؤال مبهم، ما لم يقترن هذا التساؤل بالمعاينة، ونعني بذلك معاينة الأعمال، ومن ثم التبصر في ما يتوجب أن تقوم به الآلات نفسها، المرسومة على القماش.

وفي عودة للمقارنة الشكلية السابقة مع البورتريه، فإننا في صدد كاميرات ثابتة ومتحركة وطائرات متنوعة ورادارات، وحتى أقمار اصطناعية ومناطيد، يحتل كل منها مساحة اللوحة، وكأنها بورتريهات لا لكائنات بشرية، بل لتجهيزات متطورة لا همّ لها سوى مراقبتنا، عن قرب أو عن بعد، في شكل شبه دقيق حيناً، أو بحسب تقنية شديدة الدقة، بحيث يمكنها أن تحصي خطواتنا، وترى حركات أطرافنا، ولون الثوب الذي نرتديه، وطبيعة شعرنا وربما تعابير وجوهنا، ناهيك بما يمكن أن تلعبه تلك التجهيزات، أساساً، من مهمات متعلّقة بالأمن الوقائي، الذي قد تستتبعه خطوات عدائية. تحضرنا في هذا المجال واقعة، أو وقائع عديدة، تم خلالها توقيفنا في أماكن معينة في بلدنا، ذات طابع أمني، من أجل مسائلتنا عن سبب حملنا كاميرا سخيفة القدرات، بالمقارنة مع الآت المتطورة السابقة الذكر، تخوفاً من أن تكون أهدافنا تجسسية. يبدو الأمر، في هذا المجال باعثاً على السخرية، هذا، علماً أن سخرية من نوع آخر كنا شهدناها في معرض سابق لتغريد دارغوث، حمل عنوان أنشودة الموت، انعكس فيه التناقض المرّ بين الشكل الخارجي للأسلحة، وسطوحها المعدنية اللمّاعة التي تحمل جمالية تقنية معينة، وبين الهدف الذي تُصنع لأجله: الدمار وإفناء الروح البشرية.

لم تعتمد تغريد دارغوث، في معرضها الحالي، تنويعات لونية كالتي تميز مشهداً طبيعياً في حالة استرخاء، على سبيل المثال. جاءت ألوانها أقرب إلى الطابع المونوكرومي، آلات المراقبة في معظمها رمادية وتميل أحياناً إلى الاصفرار، على خلفية مونوكرومية بدورها، ولا تتناقض لونياً مع الموضوع إلاّ بالمستوى الذي تتطلبه طبيعة العمل. هذا الخيار اللوني، القريب إلى حد ما من الواقع، لم يتقصّد تقليد اللون الأصلي للآلة، بقدر سعيه إلى عكس طابعها العدائي، من حيث كونها آلة بلا روح، في حين تديرها أرواح لا تنظر إلى البشر ككائنات، بل كأهداف افتراضية، في حالات يكون فيها الأمن هاجساً، ويكون الكائن البشري مصدراً لخطر محتمل.

من الناحية التقنية، وهذه المرة في ما يخص طبيعة العمل التشكيلي تحديداً، لا بد من الإشارة إلى الاحترافية التي تميز الأعمال المعروضة، الكبيرة الحجم، إذ أن تغريد دارغوث لم تهمل الرسم، الذي صارت صعوبة اتقانه مأخذاً على بعض العاملين في مجال التشكيل. هذا، مع العلم أن الرسم، هنا، جاء في خدمة الموضوع، ورافداً من روافد الجو التعبيري الذي نستشف حضوره الواضح من خلال الأعمال المعروضة.

محمد شرف

يستمر المعرض حتى 26 أيلول 2015 في غاليري أجيال للفنون التشكيلية ـ شارع عبد العزيز، بيروت.

جريدة السفير 2015©